آيات الإمامة في القرآن الكريم
دراسة موضوعية

م.م خالد عيفا إسماعيل
م.م هيوا عثمان عبدالله
كلية القلم الجامعة/ كركوك

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن وجود الإمام يؤدي إلى دفع أضرار الفوضى، لأن في عدم اتخاذ إمام معين يؤدي إلى الأضرار والفوضى ما لا يعلمه إلا الله، ودفع الضرر وحماية الضروريات الخمس (الدين، والنفس، والعرض، والمال، والعقل) من مقاصد الشريعة حفظها.

وهذا لا يتم إلا بإقامة إمام للمسلمين، فدل على وجوبه، لذلك قيل: (الفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس) [١].

إن الله سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر، لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده، فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم.

لذلك جاءت الآيات في القرآن الكريم تبين موضوعة الإمامة، وقد قسمت هذا البحث إلى مباحث، بينت في المبحث الأول تعريف الإمامة لغة واصطلاحاً، ثم بينت في المبحث الثاني معنى الإمامة في القرآن الكريم، ثم بينت وظائف الإمامة وواجباتها.

المبحث الأول/ تعريف الإمامة لغة واصطلاحاً.

المطلب الاول / تعريف الامام لغة

الامامة في اللغة مصدر من الفعل (أَمَّ) تقول: (أمَّهم وأمَّ بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والامام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره)[٢].

---

(١) الأحكام السلطانية، لأبي يعلى (ص ١٩٠). والسنة (٨١/١)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣١١) بلفظ أمر المسلمين .

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي (٧٨/٤).

ويقول ابن منضور[١]: (الامام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم او كانوا ضالين: والجمع: أئمة، إمام كل شيء قيّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين، وسيدنا محمد رسول الله ﷺ . إمام الأئمة، والخليفة إمام الرعية، وأممت القوم في الصلاة، وائتم به: اقتدى به .

والإمام: المثال، وإمام الغلام في المكتب ما يتعلمه كل يوم، وإمام المثال ما امتثل عليه، والإمام: الخيط الذي يُمدُّ على البناء فيبنى عليه ويسوى عليه ساف البناء ...) [٢] .

وقال صاحب (تاج العروس): (والإمام: الطريق الواسع، وبه فُسر قوله تعالى: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ}[٣]، أي طريق يُؤم، أي: يقصد فيتميز، وقال: (والخليفة إمام الرعية، قال أبو بكر: يقال فلان إمام القوم معناه: هو المتقدم عليهم، ويكون الإمام رئيساً كقولك: إمام المسلمين، وقال:(والدليل: إمام السفر، والحادي: إمام الإبل، وإن كان وراءها لأنه الهادي لها ...) [٤] .

وقال الجوهري[٥] في (الصحاح): (الأمُّ بالفتح القصد، يقال: أمَّه وأممه وتأممه إذا قصده)[٦].

الى غير ذلك من المعاني المتقاربة .

ومن جميع ما سبق نلاحظ تقارب مدلول هذه الألفاظ عند أصحاب اللغة، وسيأتي مزيد من الإيضاح لها عند بيان الألفاظ ذات الصلة .

المطلب الثاني: تعريف الإمامة اصطلاحاً .

أما من حيث الاصطلاح: فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات، وهي وإن اختلفت في الالفاظ فهي متقاربة في المعاني، زمن هذه التعريفات ما يلي .

* ما ذكره الماوردي[٧] حيث قال: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة

---

(١) هو محمد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، الأمام اللغوي الحجة، ولد بمصر، ثم ولي القضاء في طرابلس، كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة، أشهر كتبه لسان العرب، (ت ٧١١ه) ينظر: فوات الوفيات:٤٣٦/٢، وشذرات الذهب:٤٩/٧ .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة (أمم).(٢٤/١٢).

(٣) سورة الحجر: الآية: ٧٩

(٤) تاج العروس، مادة (أمم)، (٢٤٤/١٣،٢٤٥).

(٥) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، قال عنه ابن العماد: "اللغوي أحد أئمة اللسان كان له جودة في الحفظ"، مات سنة (٣٩٣هـ)، وقيل مات في حدود سنة (٤٠٠هـ)، ينظر: شذرات الذهب ١٤٢/٣، وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١٥١/٦ .

(٦) الصحاح: (١٤٣/٥).

(٧) هو: علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي، ابو الحسن، الإمام العلامة، صاحب التصانيف، اتهم بالاعتزال، توفي سنة (٤٥٠هـ)، ينظر في ترجمته: وفيات الاعيان لابن خلكان ٤٤٤/٢، طبقات الشافعية للسبكي ٢٦٧/٥.

الدنيا به)[١].

* ويقول إمام الحرمين الجويني[٢]: (الإمامة رياسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا) [٣] .

* وعرفها النسفي[٤] في عقائده بقوله: ّ(نيابة عن الرسول ﷺ في إقامة الدين بحيث يجب على كافة الأمم الأتباع) [٥].

* ويقول صاحب(المواقف): (هي خلافة الرسول ﷺ في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة) [٦].

* أما العلامة ابن خلدون[٧] فيعرفها بقوله: (هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخروية والدنيوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)[٨]

* وقيل المراد بها أي الإمامة (الرئاسة العامة في شؤون الدنيا والدين) [٩] .

إلى غير ذلك من التعريفات التي تدور حول هذه المعاني.

---

(١) الأحكام السلطانية، للماوردي (ص:٥)

(٢) هو:عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الفقيه الشافعي، ولد في جوين من نواحي نيسابور، خرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين، وبالمدينة فلهذا قيل له إمام الحرمين توفي سنة ٤٧٨هـ، من مؤلفاته البرهان في الفقه، والارشاد، انظر: وفيات الأعيان ١٦٧/٣،البداية والنهاية ١٣٦/١٢، الأعلام ١٦٠/٤ .

(٣) غياث الأمم في التياث الظلم، لأبي المعالي الجويني (ص:١٥).

(٤) الشيخ أبو المعين ميمون بن محمد النسفي الحنفي، من أشهر علماء الماتردية، له مؤلفات كثيرة منها تبصرة الأدلة، وبحر الكلام توفي سنة ثمان وخمسمائة . ينظر الجواهر المضية ٥٢٧/٣، كشف الظنون ٢٢٥/١ .

(٥) العقائد النسفية (ص: ١٧٩)

(٦) المواقف، للإيجي (ص:٣٩٥)

(٧) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليُّ الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلة، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، وأعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق، وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزي القضاة محتفظاً بزي بلاده، وعزل، وأعيد . توفي فجأة في القاهرة، ينظر: الأعلام، الزركلي ٣٣٠/٣ .

(٨) مقدمة ابن خلدون، (ص: ١٩٠) .

(٩) تكملة المجموع، لمحمد نجيب المطيعي (١٩١/١٩)

المبحث الثاني: لفظ (الإمام) في الكتاب والسنة.

المطلب الأول: لفظ الإمام في الكتاب والسنة.

هذا وقد ورد لفظ الإمام في القرآن الكريم بصيغة الإفراد في عدة مواضع منها.

قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: {قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}[١] والمعنى: (أني مصيّرك للناس إماماً يؤتم به، ويقتدى به) [٢] .

كما ورد في قوله تعالى حكاية عن دعاء المؤمنين: {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[٣] أي: (أئمة يقتدى بنا من بعدنا) [٤]، وقيل: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ويقتدي بنا من بعدنا[٥] وورد اللفظ بصيغة الجمع في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}[٦] أي: (أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويتبعون عليه) [٧] .

وفي قوله تعالى:{وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}[٨] . أي: ولاة وملوكاً[٩] .

كما ورد اللفظ بمعنى: من يؤتم بهم في الشر . قال تعالى: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} [١٠]، أي رؤساء الكفر بالله [١١]

وقوله: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ} [١٢]

أي: (جعلنا فرعون وقومه أئمة يأتم بهم أهل العتو على الله والكفر به) [١٣].

ولكن إذا أطلق لفظ الإمام فإنه لا ينصرف إلى أئمة الباطل، لأنه ورد ذكرهم في القرآن بهذه الكلمات مقيدة . كما في هذه الآيات.

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٢٤.

(٢) تفسير الطبري: (١٨/٢)

(٣) سورة الفرقان: الآية: ٧٤.

(٤) تفسير الطبري (٣١٩/١٩)

(٥) ينظر: صحيح البخاري، قبل حديث (٧٢٧٥)

(٦) سورة الأنبياء: الآية:٧٣.

(٧) تفسير الطبري، (٤٧٢/١٨).

(٨) سورة القصص: الآية: ٥

(٩) تفسير الطبري (٥١٧/١٩)

(١٠) سورة التوبة: الآية ١٢.

(١١) تفسير الطبري،(١٥٤/١٤).

(١٢) سورة القصص: الآية:٤١ .

(١٣) تفسير الطبري، (٥٨٣/١٩).

وورد اللفظ أيضاً في مواطن كثيرة من الحديث النبوي الشريف منها قوله ﷺ: (الإمام الأعظم الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته....) [١] وقوله ﷺ: (الأئمة من قريش) [٢] والمراد: الحاكم أو الخليفة . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

وهكذا أخذت الإمامة معنى اصطلاحياً إسلامياً، فقصد بالإمام: خليفة المسلمين وحاكمهم، وتوصف الإمامة أحيانا بالإمامة العظمى أو الكبرى تمييزا لها عن الإمامة في الصلاة، على أن الإمامة إذا أطلقت فإنها توجه إلى الإمامة الكبرى أو العامة كما أوضح ذلك ابن حزم[٣] . رحمه الله[٤] .

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة بالإمامة .

ومن الألفاظ ذات الصلة بالإمامة هي: (الإمام، الخليفة، أمير المؤمنين) .

ومن خلال النظر في الأحاديث الواردة في باب الخلافة والإمامة نجد أن النبي ﷺ والصحابة والتابعين الذين رووها لم يفرقوا بين لفظ: (خليفة وإمام) ومن بعد تولية عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضافوا إليها لفظ أمير المؤمنين، وإلى ذلك ذهب العلماء فجعلوها من الكلمات المترادفة المؤدية إلى معنى واحد .

فيقول النووي [٥]: (يجوز أن يقال للإمام: الخليفة، الإمام، وأمير المؤمنين) [٦].

ويقول ابن خلدون: (وإذ قد بينّا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام)[٧].

ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها الإمارة [٨]

وقيل: (الإمامة والخلافة وإمرة المؤمنين مترادفة) [٩]

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٨)، ومسلم(١٨٢٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنها

(٢) رواه أحمد (٤٢١/٤)(١٩٧٩٢)، وابن ابي عاصم في (السنة)(٢٩٤/٢).

(٣) هو ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري الأندلسي، فقيه حافظ، وأديب، وزير صاحب التصانيف المشهورة، توفي سنة (٤٥٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٨، وشذرات الذهب ٢٩٩/٣ .

(٤) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٩٠/٤).

(٥) هو: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، حافظ فقيه، في عقيدته بعض الانحراف عن جادة أهل السنة والجماعة، والله يغفر له. توفي سنة (٦٧٦هـ)، ينظر: شذرات الذهب، ٣٥٦/٥ .

(٦) ينظر: روضة الطالبين (٤٩/١٠).

(٧) مقدمة ابن خلدون (ص١٩٠)

(٨) ينظر: لسان العرب (٨٣/٩)

(٩) ينظر: المجموع (١٩١/١٩)

وكذلك الأستاذ محمد رشيد رضا [١]، ويفسر الشيخ أبو زهرة الترادف بين لفظي الخلافة والإمامة بقوله: المذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة وهي الإمامة الكبرى وسميت خلافة ولأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي ﷺ في إدارة شؤونهم، وتسمى إمامة: لأن الخليفة كان يسمى إماماً ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم الصلاة) [٢] .

أي: يأتمّون به وقد كان الخلفاء هم الذين يتولون إمامة الصلاة خاصة الجمع والأعياد لكن لما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وضعفت الناحية العلمية عند الخلفاء، أخذوا ينيبون عنهم من يقومون مقامهم في إمامة الصلاة وخطب الجمع والأعياد.

كما فسرت هذه الألفاظ الإمام والخليفة وأمير المؤمنين) بأنه ابتعاد بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافا أساسيا عن المفهوم الإسلامي الجديد [٣].

هذا وقد كان الخلفاء الأول يلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل المسلمون لقب أمير المؤمنين فيذكر ابن سعد في طبقاته أنه لما مات أبو بكر رضي الله عنه وكان يدعى خليفة رسول الله ﷺ قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله ﷺ فقال المسلمون من جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله ﷺ فيطول هذا ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده من الخلفاء قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن المؤمنون وعمر أميرنا، فدعي عمر (أمير المؤمنين) فهو أول من سمي بذلك[٤]، وروي أن لبيد بن ربيعة [٥].

---

(١) هو: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، عالم الحديث والادب والتاريخ والتفسير، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، ورحل إلى الهند والحجاز وأوروبا وعاد، فاستقر بمصر إلى ان توفي فجأة في سيارة كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة سنة ١٣٥٤هـ، من تصانيفه: تفسير القرآن الحكيم، سير الإسلام، شبهات النصارى، وحجج الإسلام، ينظر: الأعلام: ١٢٦/٦ .

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية، لأبي زهرة (٢١/١).

(٣) ينظر: نظام الإسلام الحكم والدولة (ص:٦١).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٨١/٣)

(٥) هو: لبيد بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري، أبو عقيل الشاعر المشهور، قال المرزباني في معجمه: كان فارساً شجاعاً شاعراً سخياً، قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم عمّر طويلاً، واختلف في سني عمره، وهو قائل القصيدة المشهورة التي أولها: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وذكر أنه عاش ١٦٠ سنة . بتصرف

وعدي بن حاتم [١] رضي الله عنهما لما قدما من المدينة، قالا لعمرو بن العاص: استأذن لنا يا عمرو أمير المؤمنين فقال: أنتما والله أصبتما اسمه، فهو الأمير ونحن المؤمنون فدخل عمرو على عمر فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال عمر ما هذا ؟ فقال: أنت الأمير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب من يومئذ [٢]، وقيل في سببها غير ذلك [٣].

أما لفظ الأمير بإطلاق فقد كان مستعملا في عهد النبي ﷺ لكن لم يكن مقصورا على الخليفة، وإنما يسمى به أمراء الجيوش والأقاليم والمدن ونحو ذلك، وقد ورد في الحديث: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني) [٤] .

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعمالها عادة عند أهل السنة في مباحثهم العقدية والفقهية، بينما الغالب استعمالهم لفظ الخلافة في كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المباحث خاصة العقدية وقد كتبت للرد على المخالفين في هذا الباب .

المبحث الثالث: الادلة على وجوب الإمامة.

دلت آيات القرآن الكريم على وجوب اطاعة الإمام ومن هذه الآيات .

١_ قول الله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [٥].

أورد الطبري[٦].

من كتاب الإصابة لابن حجر بذيله الاستيعاب ٤٠٧/٣ ـ٣٠٩، وينظر الاستيعاب ذيل الإصابة ٣٠٦/٣ ـ٣١٠، وأسد الغابة ٢٦٠/٤ ـ ٢٦٣ .

(١) هو: عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج: بفتح المهملة وسكون المعجمة آخره جيم، الطائي ابو طريف، بفتح المهملة وآخره فاء، صحابي شهير، وكان ممن ثبت على الإسلام في الردة، وحضر فتح العراق وحروب علي، ومات سنة ٦٨هـ، وقيل ابن ١٢٠ سنة، وقيل ٨٠ سنة، التقريب ١٦/٢، وانظر: تجريد أسماء الصحابة للذهبي ج١ ص٣٧٦، والإصابة لابن حجر بذيله الاستيعاب ٤٦٠/٢ ـ٤٦١، وتهذيب التهذيب ١٦٦/٧ ـ١٦٧ .

(٢) رواه الطبراني (٦٤/١)، والحاكم (٨٧/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٧٨٠)، قال الذهبي في (التلخيص): صحيح، وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦٤/٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، وصحح اسناده الألباني في (الأدب المفرد)

(٣) ينظر مناقب عمر بن الخطاب، لابن الجوزي (ص:٥٩).

(٤) رواه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) سورة النساء: الآية: ٥٩ .

(٦) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ابو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها سنة ٣١٠هـ، من كتبه "اخبار الرسل والملوك" وتفسيره "جامع التأويل" . انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٢٦٠/٢، ٦٩/٦ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن أولي الأمر هم الأمراء)[١] .

ثم قال الطبري: (أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة فيما كان طاعة لله وللمسلمين مصلحة) [٢].

وقال ابن كثير [٣]: الظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء) [٤] وهذا هو الراجح .

ووجه الاستدلال من هذا الآية: أن الله سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر، لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده، فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم .

٢_ ومن الادلة أيضا قول الله تعالى مخاطبا الرسول . ﷺ .: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } [٥] .

فهذا الأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يحكم بين المسلمين بما أنزل الله أي بشرعه، وخطاب الرسول ﷺ خطاب لأمته ما لم يرد دليل يخصصه به، وهنا لم يرد دليل على التخصيص، فيكون خطابا للمسلمين جميعا بإقامة الحكم بما أنزل الله إلى يوم القيامة، ولا يعني إقامة الحكم والسلطان إلا إقامة الإمامة، لأن ذلك من وظائفها ولا يمكن القيام به على الوجه الأكمل إلا عن طريقها، فتكون جميع الآيات الآمرة بالحكم بما أنزل الله دليلا على نصب إمام يتولى ذلك .

٣ _ ومن الادلة أيضا قول الله تعالى: { وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [٦]فمهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن أتى بعدهم من أتباعهم أن يقيموا العدل بين الناس على وفق ما في الكتاب المنزل، وأن ينصروا

---

(١) رواه الطبراني في تفسيره (٤٩٧/٨) قال ابن حجر في (فتح الباري)(٤٦٤/١٢) أخرجه الطبراني بإسناد صحيح، وقال أحمد شاكر: هذا موقوف على أبي هريرة وإسناده صحيح، ومعناه صحيح .

(٢) تفسير الطبري:٥٠٢/٨

(٣) الإمام المحدث المفتي البارع ـ كما قال الذهبي ـ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، قال الشوكاني: له تصانيف مفيدة منها: التفسير، من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها، توفي سنة (٧٧٤هـ) . ينظر: ابن حجر/ الدرر الكامنة: ٣٧٤.٣٧٣/١ . الشوكاني البدر الطالع (١٥٣/١)

(٤) تفسير ابن كثير (٣٤٥/٢)

(٥) سورة المائدة: الآية ٤٩ .

(٦) سورة الحديد: الآية ٢٥ .

ذلك بالقوة، وهذا لا يأتي لأتباع الرسل إلا بتنصيب إمام يقيم فيهم العدل، وينظم جيوشهم المناصرة ولهذا يقول ابن تيمية رحمه الله: (فالدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي والسيف الناصر ... فالكتاب يبين ما أمر الله به وما نهى عنه، والسيف ينصر ذلك ويؤيده)[١].

٤ _ قال تعالى: {يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [٢] وهذه الآية فيها إرشاد وتعليم من الباري جل وعلا لعباده المؤمنين أنه لا بد من خليفة يقوم بالحكم بما أنزل الله بين عباده لتصلح به البلاد والعباد .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: " هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد [٣] . والآيات الدالة على وجوب نصب الإمام كثير جدا فما من آية أنزلها الله على رسوله بتشريع حكم من الأحكام والتي لها علاقة بموضوع الإمامة وشؤونها إنما هي تأكيد جازم على إيجاد الإمامة الشرعية في المجتمع المسلم لأن وجود ولي الأمر ...

٥ _ ومن الادلة القرآنية أيضاً جميع آيات الحدود والقصاص ونحوها من الأحكام التي يلزم القيام بها وجوب الإمام .

وآيات وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحوها من الآيات، فالواقع أن جميع الآيات القرآنية التي نزلت بتشريع حكم من الأحكام التي تتعلق بموضوع الإمامة وشؤونها جاءت على أساس أن قيام الإمامة الشرعية والقيادة العامة في المجتمع الشرعي شيء مفروغ من إثباته ولا نقاش في لزومه، وذلك لأن الأحكام المشار إليها من الأمور التي يتوقف امتثالها وتنفيذها على وجود الإمام لأنها من مسؤولياته ووظائفه، فتشريع مثل هذه الأحكام يلزم مسبقا المفروغية من تشريع حكم لزوم الإمامة وقيام الدولة الإسلامية في المجتمع المسلم وهذا ينهينا إلى أن لزوم الإمامة وقيام الدولة الإسلامية من بديهيات وضروريات الشريعة الإسلامية .

المطلب الثاني: وظائف الإمام .

للإمام وظائف يقوم بها، ويمكن فهم هذه الوظائف من خلال آيات الإمامة الواردة في القرآن الكريم ومنها:

---

(١) منهاج السنة، لابن تيمية (١٤٢/١)

(٢) سورة ص: الآية ٢٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٢٦/٢.

أولاً: دعوة الناس إلى الخير: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}(١).

فقوله تعالى:(وجعلنا منهم أئمة) يعني وجعلنا من بني إسرائيل قادة في الخير (يهدون بأمرنا) يعني: يدعون الناس إلى أمر الله عز وجل (لما صبروا) أي حين صبروا ويقال: هو حكاية المجازاة، يعني لما صبروا جعلنا منهم أئمة ومن قرأ بالتخفيف(لما صبروا) أي بكسر اللام والتخفيف، وقرأ الباقون بالنصب والتشديد .

فمن قرأ بالتشديد (لما صبروا) بما صبروا، وتشهد لها قراءة ابن مسعود، كان يقرأ بما صبروا. ويقال: معناه كما صبروا عن الدنيا، وصبروا على دينهم، ولم يرجعوا عنه. ويقال: معناه وجعلناهم أئمة بصبرهم (وكانوا بآياتنا يوقنون) يعني: يصدقون بالعلامات التي أعطي موسى(٢).

ثانيا: إقامة الدين.

ومن خلال الآيات التي وردت في سياق الإمامة يتبين أن من وظائف الإمام إقامة الدين وتتمثل بما يأتي {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} (٣).

أولا: حفظه وذلك بما يلي:

١_ نشره والدعوة إليه بالقلم واللسان والسنان.

٢_ دفع الشبه الأباطيل ومحاربتها.

٣_ حماية البيضة وتحصين الثغور حتى يكون المسلمون في أمن على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم .

ثانيا: تنفيذه وذلك بما يلي .

١_ إقامة شرائعه وحدوده وتنفيذ أحكامه: وذلك يشمل جباية الزكاة، وتقسيم الفيء وتنظيم الجيوش المجاهدة لأجل رفع راية الإسلام، وإقامة قضاة الشرع للحكم بين الناس بما أنزل الله وتنفيذ هذه الأحكام والحدود التي شرعها الله لعباده....ألخ.

٢_ حمل الناس عليه بالترغيب والترهيب.

ثالثا: أن يكون قدوة للناس في فعل الخير.

فعلى الإمام أن يكون قدوة للناس في فعل الخير، فالواجب على الإمام أن يتحلى بالصفات التي تحمل الناس على وجوب الاقتداء بهم، وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا....) أي قدوة صالحة يقتدون بنا في الخير يا ربنا .

---

(١) سورة السجدة: الآية:٢٤.

(٢) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، ٣٨٥/٣.

(٣) سورة التوبة، الآية:١٢ .

(واجعلنا للمتقين إماماً) أي اجعلنا قدوة وأسوة للمتقين، يقتدون بنا في أقوالنا الطيبة، وأعمالنا الصالحة فأنت تعلم يا مولانا أننا نعمل على قدر ما نستطيع في سبيل ارضائك وفي السير على هدي رسولك ﷺ .

هذه هي صفات عباد الرحمن ذكرها في القرآن في الآيات الكريمة، وهي تدل على قوة إيمانهم وصفاء نفوسهم، وطهارة قلوبهم [١].

وقيل المعنى:

أي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في إقامة مواسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا، أو لأن المراد واجعل كل واحد منا إماما أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وأنت خبير بأن مدار الكل صدور هذا الدعاء إما عن الكل بطريق المعية وأنه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة [٢].

وجملة القول في الآية المتقدمة قولان:

أحدها: اجعلنا أئمة يقتدى بنا، قال ابن عباس. وقال غيره: هذا الواحد الذي يراد به الجمع.

والثاني: اجعلنا مؤتمين بالمتقين مقتدين بهم، قاله مجاهد فعلى هذا يكون الكلام من المقلوب، فالمعنى: واجعل المتقين لنا إماماً[٣].

الخاتمة

١_ عرف العلماء الإمامة في الاصطلاح بتعريفات مختلفة من حيث اللفظ وعلى الرغم من اختلاف تعبيراتهم في تحديدها من حيث اللفظ أنها تتحد في مدلولاتها من حيث المعنى.

٢_ الإمام موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب.

٣_ وهي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، الطبعة الاولى، ٢٢٢/١٠ .

(٢) ينظر: تفسير ابي السعود = ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ابو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ٣٢١/٦.

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ ـ ٣٣٢/٣ .

خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

٤_ أن سياسة الإمام يجب أن تكون وفق الشريعة الإسلامية الغراء التي جاء بها النبي ﷺ، ويكون بعيدا عن الهوى والشهوة في كل حال ولا بد أن يكون حكمه بالشرع في كل الأمور الدينية والدنيوية حتى يصدق أنه نائب عن الرسول ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا بالقيام بشرع الله الذي اوحاه الله إلى رسوله ﷺ من كتاب وسنة.

٥_ ولفظ الإمام، والخليفة، والأمير ألفاظ مترادفة وكلها جاءت في ألفاظ الحديث النبوي الشريف.

٦_ أجمع عامة المسلمين على وجوب نصب إمام للأمة يقيم لهم أحكام شرع الله ولم يخالف هذا الإجماع إلا النجدات من الخوارج والاصم والفوطي من المعتزلة.

المصادر والمراجع

- الأحكام السلطانية: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت: ٤٥٠هـ) راجعه: محمد فهمي الشرجان، الناشر المكتبة التوفيقية .
- لاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . الطبعة الأولى .
- الإصابة في تمييز الصحابة: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: طه محمد الزيني الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . الطبعة الأولى .
- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة:عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، دار الاصمعي للنشر والتوزيع . الرياض . مطبعة السعادة .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي ١٩٨٧.
- تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ)، دار احياء التراث العربي .
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي [٧٠٠ –٧٧٤ هـ]، دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي .
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف . مصر . .

- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)،تحقيق: علي محمد عوض . عادل احمد عبد الموجود . د. زكريا عبد المجيد النوتى . دار الكتب العلمية . بيروت .
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، الطبعة الأولى .
- تهذيب التهذيب: لابن حجر، دار صادر . بيروت .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: محيي الدين القرشي، دار المعارف النظامية: حيدر آباد . الهند . الطبعة الأولى .
- حاشية الخيالي على شرح العقائد النسفية . ضمن الحواشي البهية، مطبعة كردستان العلمية بمصر، سنة ١٣٢٩هـ .
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، طبعة: دار الجيل . بيروت
- زاد المسير في علم التفسير: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ .
- السنة: الحافظ ابن ابي عاصم النبيل . تحقيق: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح): الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق، أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي . بيروت .
- سير أغلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، أشرف على التحقيق: شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، الطبعة: الثانية ١٣٩٩هـ .دار المسيرة . بيروت.
- الصحاح في اللغة والعلوم للجوهري: إعداد وتصنيف: أسامة مرعشلي ونديم مرعشلي، دار الحضارة العربية . بيروت .
- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري . تحقيق وتعليق: محمود النواوي ورفاقه، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة، مطبعة الفجالة الجديدة .
- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع، دار صادر . بيروت .
- غياث الأمم في التياث الظلم: لابي المعالي الجويني .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق: الشيخ عبد العزيز بن باز، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية بالمملكة العربية السعودية .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن حزم، الناشر مكتبة الخانجي بمصر .
- فوات الوفيات: مجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية ١٤٠٨هـ .
- كشف الظنون عن أسامي الفنون: حاجي خليفة، تصحيح وتعليق محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكة، طبع وكالة المعارف ١٣٦٢هـ . ١٩٤٣م .
- لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف .

- مجموع الفتاوى: عبد السلام بن أحمد بن تيمية، طبعة الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية، صور من الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ .
- مختار الصحاح: زين الدين محمد الرازي، ترتيب: محمود خاطر ورفيقه، دار البصائر، مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ .
- المستدرك على الصحيحين:أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، بإشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت . لبنان .
- مسند الامام احمد بن حنبل: ابو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، دار صادر بيروت . لبنان .
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، مكتبة القراءة والثقافة، مصر .
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، طبعة: مصر .
- منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة القدرية: أحمد ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٦هـ .
- المواقف في علم الكلام: للأيجي، نشر عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ .
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، الناشر فرانز شتاير، الطبعة: الثانية ١٣٩٤هـ .
- وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، ط: ١٣٩٧هـ، دار صادر بيروت .